



إن المسيحية تؤمن بشخصية الله. أي أنها لا تؤمن بأن هذا الإله الواحد مجرد قوة أو شيء، بل هو شخص حي عاقل، واجب الوجود بذاته، له كل مقومات الشخصية، في أكمل ما يمكن أن تشتمل عليه هذه المقومات من معاني. وإذا كان من المسلم به أن الشخصية تقوم دوماً على ثلاثة أركان هي: الفكر والشعور والإرادة، وأن الله هو الشخصية الوحيدة الكاملة إذا قورن بغيره من شخصيات خلأئقه، لذلك كان لا بد أن نعرف شخصية الله بأنها الشخصية الوحيدة الفكر والشعور والإرادة إذ هو أول كل شيء الإله المدرك لذاته،

والمدرك لكل شيء صنعه. وتؤمن المسيحية أن هذا الإله، الشخص الحي الواحد، ليس جسماً مادياً يمكن أن يرى أو يلمس أو يُدرك بالحواس البشرية، فهو كما قال المسيح روح وهو أيضاً أبو الأرواح - عبرانيين 12: 9- - إذ خلق هذه على صورته كشبهه.

بيد أن المسيحية تؤمن بأن وحدانية الله جامعة، أي أن الله ذو ثلاثة أقانيم: الآب والابن والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم إله واحد وجوهر واحد. ولما يعني المسيحيون بتعدد الأقانيم أن الله ثلاثة جواهر، لأن لفظ أقنوم لا يعني جوهر. فالمراد هنا بالجواهر الذات الواحدة، أي أنه الوحدة اللاهوتية. والمراد بالأقنوم واحد من الآب والابن والروح القدس. ومع ذلك فكلمة أقنوم - كسائر الألفاظ البشرية - قاصرة عن إيضاح حقيقة إلهية، هي أن الله ثلاث في الالوهية، وواحد في الجوهر. ومن المعروف أن تعليم وحدانية الله وامتياز الأقانيم أحدها عن الآخر ومساواتها في الجوهر، ونسبة أحدها للآخر لم يرد في الكتاب المقدس جملة واحدة بالتصريح به، بل في آيات متفرقة. غير أن جوهر هذه الأمور منصوص عليه من أول الكتاب المقدس إلى آخره. ومن الأمور التي تثبت صحة هذا الاعتقاد وجوده في الاعلانات المتتابعة وانجداؤه بالتدريج هكذا:

1- فضي سفر التكوين تلميحات إلى تعليم الثلاث، لا تفهم جلياً إلا بنور إعلانات بعدها، كورود اسم الله في صيغة الجمع لإلهيم كقوله:

فِي الْبَدْءِ خَلَقَ إلهِيمَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ - تكوين 1: 1 - .

قال لإلهيم: نَعْمَلْ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا - تكوين 1: 26 - .

وَقَالَ الرَّبُّ إِلَهُهُ: هَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا - تكوين 3: 22 - .

هَلْ نَنْزِلُ وَنُبَلِّبُ هُنَاكَ لِسَانَ هَمْ - تكوين 11: 7 - .

2- في سفر التثنية تلميح إلى وجود الأقانيم الثلاثة في ذات الله، إذ يقول: إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتَحِبُّ الرَّبُّ إِلَهُكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ - تثنية 6: 4:5 - .

وجاءت لفظة إلهنا في هذه الآية بصيغة الجمع، مع العلم أن المقصد منها بيان الوجودانية.

3 وفي سفر إشعياء النبي نقرأ: **ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّيِّدِ: مَنْ أَرْسَلَهُ، وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِ نَا؟ - إشعياء 6: 8.**

فهذه الآيات المجيدة تدل على أن الله واحد في الجوهر، مثلث الأقانيم. ومن الأفضل قبل أن ندرس هذه العقيدة أو نبحثها البحث الكتابي المجرد، أن نلم بتاريخها في كنيسة المسيح، وبالأفكار التي تناولتها حتى انتهت إلى وضعها النهائي الدائم غير المتغير.

كان المسيحيون أيام الرسل وحتى أول القرن الميلادي الثاني لا يفكرون في وضع صيغ معينة للعقائد المسيحية، إذ كانوا يمارسون مبادئ هذه العقائد كما جاءت في الكتب المقدسة دون أن يضعوا لها شكلاً معيناً. وحين كانت تعترضهم صعوبة أو مشكلة كانوا يرجعون إلى الرسل أو تلاميذ الرسل من بعدهم. ولكن ما أن انتشرت المسيحية في رحاب الدنيا، وقامت بعض البدع حتى باتت الحاجة ماسة إلى أن تقول الكنيسة كلماتها خصوصاً عندما انتشرت ضلالات أريوس وسباليوس المخالفة للعقائد المسيحية فيما يختص بلاهوت المابن والروح القدس. فقام رجال أعلام في الكنيسة وفنّوا آراء المبتدعين، من أبرزهم القديس أثناسيوس الملقب بحامي الإيمان، الذي قاوم تلك البدع وأصدر القانون الأثناسي المعروف والذي يقول:

- 1 كل من ابتغى الخلاص، وجب عليه قبل كل شيء أن يتمسك بالإيمان الجامع العام للكنيسة المسيحية.
- 2 كل من لا يحفظ هذا الإيمان، دون إفساد، يهلك هلاكاً أبدياً.
- 3 هذا الإيمان الجامع هو أن تعبد إلهاً واحداً في ثلاث، وثالوثاً في توحيد.
- 4 لا نمزج الأقانيم ولما انفصل الجوهر.
- 5 إن للآب أقنوماً، وللمابن أقنوماً، وللروح القدس أقنوماً.
- 6 ولكن الآب والمابن والروح القدس لاهوت واحد ومجد متساوٍ، وجلال أبدي معاً.
- 7 كما هو الآب، كذلك المابن، كذلك الروح القدس.
- 8 الآب غير مخلوق، والمابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق.
- 9 الآب غير محدود، والمابن غير محدود، والروح القدس غير محدود.
- 10 الآب سرمد، والمابن سرمد، والروح القدس سرمد.
- 11 ولكن ليسوا ثلاثة سرمديين، بل سرمد واحد.
- 12 وكذلك ليس ثلاثة غير مخلوقين، ولما ثلاثة غير محدودين، بل واحد غير مخلوق وواحد غير محدود.
- 13 وكذلك الآب ضابط الكل، والمابن ضابط الكل، والروح ضابط الكل.
- 14 ولكن ليسوا ثلاثة ضابطي الكل، بل واحد ضابط الكل.
- 15 وهكذا الآب إله، والمابن إله، والروح القدس إله.
- 16 ولكن ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد.
- 17 وهكذا الآب رب، والمابن رب، والروح القدس رب.
- 18 ولكن ليسوا ثلاثة أرباب، بل رب واحد.
- 19 وكما أن الحق المسيحي يكلّفنا أن نعتترف بأن كلاً من هذه الأقانيم بذاته إله ورب.
- 20 كذلك الدين الجامع، ينهانا عن أن نقول بوجود ثلاثة آلهة وثلاثة أرباب.
- 21 فالآب غير مصنوع من أحد، ولما مخلوق، ولما مولود.
- 22 والمابن من الآب وحده، غير مصنوع، ولما مخلوق، بل مولود.
- 23 والروح القدس من الآب والمابن، ليس مخلوق ولما مولود بل منبثق.
- 24 فإذا آب واحد لا ثلاثة آباء، ومابن واحد لا ثلاثة أبناء، وروح قدس واحد لا ثلاثة أرواح قدس.
- 25 ليس في هذا الثلاث من هو قبل غيره أو بعده ولما من هو أكبر ولما أصغر منه.
- 26 ولكن جميع الأقانيم سرمديون معاً ومتساوون.
- 27 ولذلك في جميع ما ذكر، يجب أن نعبد الوجودانية في ثلاث، وثالوث في وحدانية.
- 28 إذاً من شاء أن يخلص عليه أن يتأكد هكذا في الثلاث.
- 29 وأيضاً يلزم له الخلاص أن يؤمن كذلك بأمانة بتجسد ربنا يسوع المسيح.
- 30 لأن الإيمان المستقيم هو أن تؤمن ونقر بأن ربنا يسوع المسيح ابن الله، هو إله وإنسان.
- 31 هو إله من جوهر الآب، مولود قبل الدهور، وإنسان من جوهر أمه مولود في هذا الدهر.
- 32 إله تام وإنسان تام، كائن بنفس ناطقة وجسد بشري.

- 33 مساو للآب بحسب لاهوته، ودون الآب بحسب ناسوته.
- 34 وهو وإن يكن إلهاً وإنساناً، إنما هو مسيح واحد لا اثنان.
- 35 ولكن واحد، ليس باستحالة لاهوته إلى جسد، بل باتخاذ الناسوت إلى اللاهوت.
- 36 واحد في الجملة، لا باختلاط الجوهر، بل بوحداً في الأقنوم.
- 37 لأنه كما أن النفس الناطقة والجسد إنسان واحد، كذلك الإله والإنسان مسيح واحد.
- 38 هو الذي تألم لأجل خلاصنا، ونزل إلى الهاوية - أي عالم الأرواح - وقام أيضاً في اليوم الثالث من بين الأموات.
- 39 وصعد إلى السماء وهو جالس عن يمين الآب الضابط الكل.
- 40 ومن هناك يأتي ليدين الأحياء والأموات.
- 41 الذي عند مجيئه يقوم أيضاً جميع البشر بأجسادهم، ويؤدون حساباً عن أعمالهم الخاصة.
- 42 فالذين فعلوا الصالحات، يدخلون الحياة الأبدية، والذين عملوا السيئات يدخلون النار الأبدية.
- 43 هذا هو الإيمان الجامع، الذي لا يقدر الإنسان أن يخلص بدون أن يؤمن به بأمانة ويقين.

وخلاصة ما تقدم أن الله في المسيحية واحد، وإن كان اللاهوت ثلاثة أقانيم: الآب والابن والروح القدس، أي جوهر واحد وثلاثة أقانيم، غير أن الجوهر غير مقسوم. فليس لكل من الأقانيم جزء خاص منه، بل لكل أقنوم كمال الجوهر الواحد نظير الآخر. وأن ما بينهم من النسب سر لا يقدر العقل البشري أن يدركه. غير أن لنا في الكتاب المقدس ما يوضحه. وكل ما جاء من خارج الكتاب المقدس عن التالوث من أفكار فلسفية، أو محاجات منطقية، لم يكن إلا بسطاً أو عرضاً لما جاء في الكتاب المقدس عن طريق القياس. والمعروف تاريخياً أن المسيحيين القدماء قاموا بدرس عقيدة التالوث في ضوء كتب الوحي المقدسة، وآمنوا بها واستقروا عليها، ورسموا صورتها في قوانين الكنيسة. وأبرز هذه القوانين قانون الإيمان النيقاوي الذي يقول:

أنا أؤمن بإله واحد، قادر على كل شيء، خالق السماء والأرض، وكل ما يُرى وما لا يُرى. وبِرب واحد، يسوع المسيح. ابن الله الوحيد. المولود من الآب قبل كل الدهور. إله من إله، نور من نور. إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. ذو جوهر واحد مع الآب. هو الذي به كان كل شيء. الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء. وتجسد بالروح القدس من مريم العذراء، وصار إنساناً، وصلى على عهد بيداطس البنطي، وتآلم، وقبر. وقام في اليوم الثالث. وصعد إلى السماء. وهو جالس عن يمين الآب وسيأتي أيضاً بمجد، ليدين الأحياء والأموات. الذي ليس له نهاية. وأؤمن بالروح القدس. الرب المحيي. المنبثق من الآب. المسجود له والممجد مع الآب والابن. الذي تكلم بالأنبياء. وأعتقد بكنيسة واحدة جامعة رسولية. وأعترف بعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. وأنتظر قيامة الموتى وحياة الدهر الآتي أمين، □